عبيد الله بن عباس وخيانته الحسن بن علي عليهما السلام

السؤال: ما هو موقف الشيعة من عبيد الله بن عباس بعد أن لحق بجيش معاوية ؟

الجواب:

وفوده على معاوية أمر ثابت وقطعي لكنه زمانه غير معلوم، وأما خيانته للحسن عليه السلام فلم تثبت وتحوطها جملة من الشكوك، ومعلوم أنه لم يسلم من الأئمة وشيعتهم زمن الأمويين وتحريف التراث والأخبار أحد، وهذا أحد الموارد تلك التي يظن قويا أنها من صنيعتهم.

فالوفود على معاوية تحقق من كثير، والصلاة والهدايا والعطايا كان يعطى لكثير من الوجهاء أيضا، لكن استغلال تلك الحوادث والحياكة عليها بالكذب أمر مشهور مشهود، فما لم تنقشع ظلمات تلك الفترة المظلمة المرعبة لا يمكننا البت في أمر عظيم ينال مباشرة من أبناء العباس وشيعة الأئمة وبصورة غير مباشرة من الأئمة الهداة.

وتفصيل الجواب:

عبيد الله بن عباس وخيانته الحسن بن علي عليهما السلام

ولاه علي ع اليمن حتى استشهد، ثم لحق بالحسن عليه السلام، وقتل بسر بن أرطأة صغيريه ذبحا في طريق عودة أرطأة من اليمن إلى الشام، واستمر على ظاهر الولاء والمحبة للحسين عليه السلام، قيل أنه توفي سنة ٥٨هـ قبل واقعة الطف، وقيل بعدها.

وخبر لحوقه بمعاوية مشهور ويظهر من الشيعة وغيرهم التسالم عليه، لكن للسيد الخرسان -الخبير في تاريخ ابن عباس والأوسع باعا في تحقيق سيرته وروايته- في موسوعته القيمة عن ابن عباس، له تشكيك محقة في تفاصيل وزمان وفوده على معاوية مع إقراره بحصوله كما هو الحال في الشك في التهم على عبد الله بن عباس أخيه وغير أخيه مما اصطنعه الأمويون في أهل البيت من الأئمة خاصة الحسن والحسين وشيعتهم، فهل لحق به قبل الصلح

أم أثناءه أم بعده ؟، فإن كان خبر لقائه توجهه لمعاوية أضحت من ثوابت التراث، فليس من السهل إنكارها، كما أنّها كذلك ليس من السهل تصديقها بكلّ مفرداتها.

فضعَّف خبر ابن شاذان المروي في كتاب الكشي، قال بما حاصله: " فأمّا الخبر الأوّل، فساقط بالمرّة، لِما فيه من إرسال عن الفضل، وجهالة بعض كتبه، مع كثرة المعلومات الخاطئة فيه، والتي أتبعتها بعلامات استفهام ... وعلى هذه الكبوة من الكشي، أو الفضل بن شاذان، أو من غيرهما، فقس ما سواها من كبوات وفجوات أتبعتها بعلامات الاستفهام تسقط الاحتجاج بالخبر المذكور بالمرّة".

وأمّا الخبر الثاني، فقد ورد ذكره في الكشي مرّتين ... وهو من غلط النسخة ظاهراً، وأعاده مرّة أُخرى في ترجمة عبيد الله بن العبّاس، وفي المكانين ورد اللّعن وذكر العمى، ولمّا كان الخبر رواه الكشي مسنداً عن رجال منهم محمّد بن سنان ـ المختلف فيه ولم تثبت وثاقته ـ عن موسى بن بكر الواسطي ـ وهو على ما قيل: كان واقفياً ـ وقد روى الكشي نفسه عن الإمام الجواد عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾، قال: نزلت في النصّاب والزيدية والواقفة من النُصاب.

ولئن قيل: هذا في عماهما، فلقد قال المسعودي في (مروج الذهب): إنّ عبد الله كان سبب ذهاب بصره كثرة بكائه على أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام.

أمّا قول الشيخ الطوسي رحمه الله : لحق بمعاوية، **فهذا ما ثبت في الموروث تاريخياً، ولا شكّ عندي في نقله.**

لكن السؤال الذي يفرض نفسه: متى كان ذلك زماناً؟ هل هو قبل المصالحة؟ أم في زمان المراسلة بين طرفي النزاع؟

ثم الاختلاف في روايات صفقته مع معاوية يبعث الريبة في الصحّة تمام الصحّة.

ما سيأتي من خبر المصاهرة بين العبّاس الأكبر الشهيد ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبين عبيد الله هذا على ابنته لبابة، ففي هذا الدلالة على صفاء الجوّ الهاشمي بين آل عليّ وآل العبّاس، ممّا يستبعد أن يكون اللحاق المذكور قد ألقى بضلاله القاتمة على ما بين

البيتين من صفاء ومودّة، مع ما روي في التاريخ من مواقف لعبيد الله هذا موافقة لأهل البيت عليه السلام أيام معاوية، ممّا يستبعد التضخيم والتفخيم لذلك الحَدَث المهين المشين.

لا أريد تبرئة عبيد الله من ذلك التصرّف النشاز، المخالف للقيم الدينية والأعراف القبلية والأخلاق العربية، فهو أسقط نفسه في حمأة سوداء بسوء اختياره ما كان ينبغي له ذلك، وما قيل في أنّ حبّ المال أغراه حتّى سدّ عليه منافذ بصيرته، فلست ممّن يثق بهذا القول تماماً، لِما ورد في التاريخ من ذكر مواقف له تخالف هذا القيل من جشع وحبّ المال". ثم ساق الأدلة والشواهد على كرمه وجوده حتى شبه بحاتم، واسترسل النقل عن كتاب الشواهد الرفيعة للسيّد ابن معصوم المدني الشيرازي، ومما نقل عنه مشاطرته نصف ماله مع الحسين عليه السلام، ثم قوله في الالتزام بالعهد والصلح مع معاوية: (فقال: دع عنك هذا الكلام، فإنّا من قوم نفي بما عقدنا، ولا ننقض ما أكدّنا)، ما يدل أنه كان في صف الحسن لا في حزب معاوية.

ثم قال:

" ومهما شككنا في صحّة هذه الأخبار فلا يسعنا أن نشكّ في خبر المصاهرة، والذي أطبق النسّابون على ذكره، وهذا الذي لم نشكّ فيه، هو ما يعني الوئام الذي كان بين أولاد العبّاس وأولاد عليّ، وأظهر مظاهره هي المصاهرة بين العبّاس بن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبين عبيد الله بن العبّاس هذا الذي قيل عنه ما قرأنا من مدح وذمّ، ولئن صحّت المصاهرة ـ وقد ثبتت تاريخياً".

" فهي تبعث على الشكّ في تهمة الخيانة والإنحدار الخلقي والتصرف النشاز من عبيد الله ولحوقه بمعاوية قبل صلح الإمام الحسن عليه السلام، إذ أنّ اختيار العبّاس ابن أمير المؤمنين عليه السلام مصاهرة عبيد الله الخائن تثير العجب والتساؤل! كيف اختار أن يخطب ابنة إنسان قيل عنه: خذل ابن عمّه وصار إلى عدوه اللدود؟! إنّها مفارقة عجيبة غريبة!

ألم يعلم العبّاس بن علي الصهر الجديد بما قاله النبيّ صلي الله عليه وآله وسلم: (اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين)، وأنّ العرق دسّاس؟! وإذا لم يعلم هذا، ألم يعلم بخبر تزويج أبيه عليّ عليه السلام من أُمّه أُمّ البنين كيف كان باستشارة عمّه عقيل كما في

الموروث؟ فهل استشار هو أيضاً من أعمامه وإخوته فدلّوه على لبابة بنت عبيد الله بن العبّاس، مع ما قيل في أبيها من ذمّ؟

فإن صحّت المصاهرة، وصحّ الاختيار، سيبقى خبر المفارقة على المحكّ لبحث ظروفه وأسبابه وتداعياته، وهل كان قبل الصلح؟ أو بعده؟ أو في أثناء المفاوضات".

فالطعن هو غاية يريدها الأمويون، ثم استشهد بقول أمير المؤمنين ع في صفين: " والله يودّ ... ما بقي من بني هاشم نافخُ ضرمةٍ إلاّ طعن في نيطه إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون".

" وتعقيباً على ما مرّ من قصّة لحوق عبيد الله بن عبّاس بمعاوية، والتي أضحت من ثوابت التراث، فليس من السهل إنكارها، كما أنّها كذلك ليس من السهل تصديقها بكلّ مفرداتها، ولا شكّ بينها ما هو حقيق بالتصديق، ولا يخلو بعض منها ما عراه التزويق بالتلفيق ... قال الدكتور زكي مبارك رحمه الله : (أمّا دسائس الأمويين ضدّ الحسن فقد ظفرت ببعض النجاح، ألم يستطيعوا أن يشيعوا في المشرق والمغرب أنّ الحسن لم يكن صالحاً للملك، وأنّه كان رجلاً يحب النساء؟

ومن العجب أنّ بني أُميّة حاربوا الحسن بلباقة سياسية منقطعة النظير، فقد كانوا يودون اتّهامه بضعف الأخلاق، وحبّ الإثم والفسوق، فلمّا عزّ عليهم ذلك قالوا: إنّه لم يكن يتمتّع بالنساء إلاّ عن طريق الحلال، فكان يتزوّج المرأة ليلهو بها يوماً أو بعض يوم، ثمّ يطلّقها ليبحث عن امرأة أفتن وجهاً وأنضر شباباً.

ومن العجب أيضاً أنّ الهاشميين لم يقاوموا هذه الدسيسة، وأعجب من ذلك أن يعدّوها من مفاخر ذلك السيّد المزواج".

ثم قال يصف تلك الفترة الزمنية المظلمة في التاريخ: " إنّ أخبار هذا الحَدَث فيه غمغمة تاريخ، وهمهمة تضييع لمواقف مناقبية، وتشويه لقيادة حسنية فذّة في معالجة الأمور، وقد أحيط به من عناصر لم ترع لله فيه حرمة، ومن ورائهم مكائد ...، وزاد الأمر سوءاً ما جاء في كتب المثالب التي افتتحها زياد بن أبيه الذي قالوا فيه: أنّه أوّل من ألّف كتاباً في المثالب".

" لا شك أن ... بني أُميّة قاموا بترويج أكاذيب على نطاق واسع، تغطية لجرائمهم في استبعاد أهل البيت عليهم السلام عن ممارسة الحكم، فكانت ذمم الرواة تشرى لتزوير

الحقائق، فكانت النتائج كما قال الإمام الباقر عليه السلام: (...ووجد الكاذبون والجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كلّ بلدة فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله ولم نفعله ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام...)"

" قال المسعودي: وذكر بعض الأخباريين أنّه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن ... فهل بعد هذا ما يمنع من القول بغثاثة الموروث، وأنّ اليد الأموية الأثيمة لها ضلع في تسجيل الجريمة؟ " (موسوعة عبد الله بن عباس، السيد محمد مهدي الخرسان ج١٩/ ٧٧-١٠٠). انتهى مختصرا .

وهو قول متين، واستفهام في محله، يعضده قتامة تللك السنين والقطع بأن يد التحريف والتضليل والتقتيل والتشريد طالت كل شيعة علي عليه السلام.

محمد علي العريبي
٣ شوال ١٤٤٢ هـ
البحرين